



الحياة التي نعيشها بصورة عامة وشاملة تعتمد في جوهرها أو في أساسها على عملية الاتصال التي تحدث بصورة مستمرة في كل لحظة بين أبناء البشر في جميع المجالات الحياتية اليومية.

الكاتب : د. محمد العامري عدد المشاهدات : 3039 February 22, 2024



الاتصال

ظاهرة سلوكية اجتماعية إنسانية

جميع الحقوق محفوظة
www.mohammedaameri.com

الاتصال ظاهرة سلوكية اجتماعية إنسانية

الحياة التي نعيشها بصورة عامة وشاملة تعتمد في جوهرها أو في أساسها على عملية الاتصال التي تحدث بصورة مستمرة في كل لحظة بين أبناء البشر في جميع المجالات الحياتية اليومية والتي دونها من الصعب أن يعيش الإنسان ويستمر في العيش لفترة طويلة من الوقت، كما يجب وكما هو مطلوب، والاتصال الذي نحن بصدده الحديث عنه هنا يعني العيش المشترك مع الأفراد الآخرين والجماعات الأخرى، والقيام بعملية تبادل أوجه النشاط والتفاعل المختلفة والتي عرفت منذ أن عرف الإنسان معنوي القيام بتبادل العلاقات والمنفعة مع الأفراد الآخرين الذين يتواجدون ويعيشون معه في نفس المكان والمحيط والبيئة التي تحكمها عادات وتقالييد خاصة بها ومن الممكن أن تجمع بين جميع الأفراد بصورة غير مباشرة.

والإنسان بطبيعته وصفاته ومميزاته الخاصة يختلف عن غيره من المخلوقات والكائنات، فهو على جانب كبير من التعقيد والغموض، والعالم الذي يعيش فيه على درجة كبيرة من التركيب وعدم الوضوح، والسلوك الذي يصدر منه يحدث في إطار قسم من التأثيرات المترادفة والمترابطة مع بعضها البعض والتي تصدر من داخل الإنسان أو من العوامل الخارجية والمحيطة به، أي البيئة التي يعيش فيها وما يحكمها من عادات وتقالييد، والتي تؤثر تأثيراً مباشراً على ما يصدر منه من سلوك، فهو مثلاً يرغب ويحبس، ويدرك ويتفاعل ويذكر ويتعلم ممن هم حوله ويأتي معهم في علاقات يومية مختلفة المواضيع، كما وتوجد لديه القدرة على القيام بإيصال ما يريده ويقصده من معاني وأفكار ورغبات موجودة لديه إلى من هم حوله أو معه من أشخاص أو أفراد مختلفي المميزات والصفات والقدرات بمعنى أنه يملك القدرة الخاصة التي تمكنه من القيام بتغيير صورة وشكل ومضمون الحياة في المحيط والمكان الذي يعيش فيه أو يعتبر جزءاً أساسياً منه. وبوساطة عملية الاتصال التي يقوم بها في كل عمل يعمله، أو في كل لحظة من تواجده مع الآخرين والتي فيها يأخذ ويعطي يؤثر ويتأثر، يعمل ويتعلم، والتي بمساعدتها عندما يتعامل مع الآخرين يقوم بنقل معلوماته إليهم من أجل الاستفادة منها، والاستفادة من معلوماتهم التي تصل إليه ومن قيامه بهذه العملية الاتصالية استطاع التعرف على معاني الأشياء وربطها مع الأشياء التي تعلمها والتي يعرفها من قبل وهذا بطبيعة الحال أدى إلى معرفة جديدة لم تكن موجودة لديه من قبل، وحدوث تطورات اجتماعية إنسانية جديدة لم تكن من الصفات المميزة له أو التي يتصرف بها.

ولكي يحافظ الإنسان على بقائه فهو يحتاج إلى توفير المطالب الأساسية التي عن طريقها يستطيع الوصول إلى المحافظة على حياته وكيانه الإنساني، فهو بحاجة ماسة وضرورية جداً إلى الحب من جانب من يعيش في علاقة يومية في جوانب الحياة المختلفة. بالإضافة لذلك فهو بحاجة إلى المكان الخاص به، الذي يعرف حق المعرفة أنه يستطيع الذهاب إليه في أي وقت يريد، ويجد فيه الراحة والهدوء والاستقرار. أيضاً هو بحاجة ضرورية إلى الجنس، أي وجود الجنس الآخر معه بصورة دائمة ومستمرة وأنه يستطيع إقامة العلاقات الجنسية وإشباع هذه الغرائز الضرورية وذات المكانة الخاصة والمهمة في حياة الفرد اليومية من كلا الجنسين وتوفير هذا الجانب يعني توفير الهدوء والراحة والتخلص من الضغوط والدوافع والمؤثرات التي تلعب دوراً فعالاً في جميع جوانب الحياة بالإضافة إلى كل ما ذكر فإن الإنسان لا يستطيع العيش بمفرد وتحمل العزلة وذلك لأنه مخلوق اجتماعي الذي تربى عليه علاقات وثيقة ومتعددة مع أبناء جنسه بحيث أنه لا يشعر بالأمان والاطمئنان إلا إذا تواجد داخل المجتمع، وأنه كائن اجتماعي بطبيعته لا يستطيع العيش بمفرد وبعيداً عن أفراد المجتمع، لذلك فهو دائمًا بحاجة ماسة للتواجد والعيش في جماعات منظمة التي تربطها علاقات وقوانين اجتماعية سهلة ومعقدة في نفس الوقت والتي تحد من حريته وحركته، والأعمال التي يقوم بها تكون مراقبة ومخط أنظار الآخرين وانتقادهم، وبالرغم من ذلك يفضل التواجد مع الآخرين.

والإنسان الذي نحن بصدده الحديث عنه يختلف عن غيره من المخلوقات التي تعيش على الكره الأرضية بالقدرات العقلية الموجودة لديه والتي هي من أهم مميزاته، بالإضافة لذلك فإن لديه القدرة على القيام بالاتصال مع الآخرين، أو مع من هم حوله عن طريق استعمال الرموز التي يقصد منها معاني مختلفة لأنواعاً مختلفة، وهو بهذا يعتبر المخلوق الأول والوحيد الذي يستجيب لميزات بيئته المادية الحقيقة والبيئة الرمزية التي يضعها هو بنفسه، مثل البيئة الدينية أو غير الدينية التي تحدد نفس السير والعمل حسب ما تناوله به من أحكام وأفعال. والعرف الاجتماعي والعادات والتقاليد المسيطرة على المحيط الذي يعيش فيه والتي تلعب الدور

الهام في حياته وتسير خطواته في معظم الأوضاع، وهي أيضاً التي تؤثر على مجال التفاعل والاتصال لدى الفرد حينما يوجد فيه مواقف اجتماعية اتصالية مع مجتمعات أخرى تختلف عن المجتمع الذي يعيش فيه. ما ذكر حتى الآن يدل على أن الإنسان له بيئة خاصة به وتختلف عن باقي المخلوقات التي تعيش معه في نفس البيئة، وهو يخلق لنفسه جواً وعالماً رمزاً الذي يضيف إلى الواقع والحياة التي يعيشها بعدها ومعنى لا يمكن أن يعرفه ويدركه أو يميزه الإنسان. لأن عالم الإنسان يتطلب الفكر أي أن يملك القدرة على التفكير بالمواضيع التي تواجهه في الحياة. ويمتلك القدرة على الاتصال الرمزي الذي يعتمد ويقوم في الأساس على اللغة اللفظية والتي هي من مميزات الإنسان وخصائصه الفريدة، كذلك يعتمد على الفن والدين والعلم وجميعها جوانب هامة جداً ولها المكانة الخاصة لدى كل فرد من أبناء البشر.

واعتماداً على ما ذكر نستطيع القول بأن العملية الاتصالية التي تحدث بين الإنسان ومحيطه الذي يعيش فيه أو يعمل فيه أو المجال الذي يتواجد فيه هي التي أدت إلى استمرار عملية التقدم والتطور في جميع جوانب الحياة وعلى مدى المراحل المختلفة لوجود الإنسانية. وهذه الحياة الاجتماعية التي أصبح يعيشها الإنسان والتي تقوم وتعتمد على الاتصال الذي يؤدي بدوره إلى زيادة المعرفة والمعلومات الإنسانية التي تقوم بإيصال عقله ومنطقه بالوجود الاجتماعي و يجعل من حواسه المفرز الذي منه يبدأ الاتصال الحسي والعقلي والتصوري بين الإنسان والعالم الموضوعي، وهذه المعلومات والمعرفة لها أهمية كبرى في الحياة اليومية وال العامة. وهذه الحياة وتطورها تبدأ بإدراك الإنسان لما يدور من حوله الإدراك الذي يؤدي إلى التفاعل بين الإنسان المتفاعلة والأمور التي توجد وتحدث من حوله. وهذا التفاعل والتعامل يعني القيام بالاتصال مع من نتعامل معهم من مخلوقات مما يساعد الفرد على اكتشاف ومعرفة معاني الأشياء ويفاعل معها نتيجة للقيام بالاتصال. وهنا يجب أن نذكر أن الإنسان كجهاز للاتصال يحاول بصورة دائمة الابتعاد عن المواقف الحرجية والتي من الممكن أن تزيد من الغموض وعدم التأكيد، وفي نفس الوقت يحاول أن يقلل من مساحة عدم الوضوح، الأمر الذي يؤدي إلى تقليل إمكانية التعارض الوجوداني، وطبعاً في مثل هذا الوضع أن يقع الإنسان في حالة القلق والتوتر خصوصاً إذا أُجبر على أن يختار بين بديلين الأمر الذي يؤدي إلى ظهور حالة من عدم الرضا لذلك يؤكد الاتصال الفعال على الجوانب الإيجابية ويحاول التقليل من الجوانب السلبية.

والإنسان بطبيعته مخلوق الذي يعيش ويرتبط بثقافة معينة وله صلة وعلاقات وقيم، ويقوم بالاحتكاك بعائلات ومجتمعات متنوعة ومختلفة، والتي لها أثر وأهمية خاصة في عملية تكوين المعرفة وتنشئة الفرد أي أن للعوامل الاجتماعية والمصادر الثقافية أثراًها في عملية اكتساب المعرفة ونشأة وتطور المعتقدات والاتجاهات الفكرية المختلفة، والتي تعتبر السبب المباشر والأساسي في خلق وإيجاد النزعات النفسية السائدة والظاهرة في معظم المجتمعات والثقافات.

ومن الأمور التي لا يوجد فيها مجال للشك هو أن الثقافة تعتبر المدخل إلى معظم المعتقدات، لأنها تعطي المعاني لأنواع المفاهيم المختلفة، لأن الثقافة تعتبر همزة الوصل والأساس الاتصالي الذي يحدث بين الشعوب والمجتمعات المختلفة، أي أن الثقافة هي الأساس الوجودي الذي يؤدي إلى وجود كل فكرة وكل معرفة لأن العقول تختلف فيما بينها مما يساعد على تبادل أساليب الفهم والإدراك.

ومن الصعب أن لم يكن من غير الممكن القيام بعملية تفسير للأفكار والمعاني والمعتقدات، إلا عن طريق الرجوع إلى طبيعة الموقف الاجتماعي العلم، الذي يحدد إطارها ويعطيها معناها وما يقصد منها، والفرد أثناء قيامه بالاتصال ومن خلال مدركاته وعلاقاته وعارفه المختلفة والمتحدة ينمو ويتعلم نظم المجتمع وثقافته وأفكاره وتصوراته وتصرفاته.

واعتماداً على جميع هذه الأسس والجوانب التي ذكرت نقول أن عملية الاتصال كظاهرة سلوكية اجتماعية

إنسانية تعتبر عملية هامة وضرورية التي تؤدي إلى تكون العلاقات التي تربط الناس مع بعضهم البعض داخل المجتمع الذي يعيشون فيه أيضاً تعتبر هامة وضرورية بالنسبة لعمليات التوافق والفهم التي يجب أن توجد لدى أفراد المجتمع على اختلاف درجاتهم ومستوياتهم لكي نستطيع الوصول إلى الاتفاقيات الهامة التي تساعده في المحافظة على المجتمع واستمرار ترابطه.

وفي هذا المجال قال جون ديوبي الفيلسوف الأمريكي أن عملية الاتصال تعتبر من أعجب شؤون وأمور الإنسان على الإطلاق، ويقول أيضاً "أن المجتمع لا يوجد فقط عن طريق الاتصال بل يتواصل ويتأسس في عملية الاتصال" وهذه العملية ضرورية وهامة لكل عمليات التوافق والفهم التي يتوجب على أفراد المجتمع القيام بها بهدف الوصول إلى الاتفاقيات التي تساعده على استمرار ترابط جميع أفراد المجتمع وتحافظ عليه من الانهيار والتفكك، لأن الاتصال بطبيعته يؤثر على الإنسان وسلوكيه في كل الجوانب والأعمال التي يقوم بها في كل يوم وفي كل لحظة من لحظات الحياة التي يعيشها. ويشترك في عملية الاتصال بأنواعها كل الناس في مجالاتهم المختلفة من الصباح وحتى المساء كل فرد يقوم بنقل المعلومات الموجودة لديه والتي يعرفها، وفي نفس الوقت يقوم بتلقي المعلومات التي ترسل إليه بصورة خاصة والتي ترسل بصورة عامة من الآخرين أي أنه في حالة تبادل مستمر للمعلومات مع الآخرين.